

مذاهب فكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد:

إن من الأهداف المرجو تحقيقها عند تدريس مادة المذاهب الفكرية مايلي:

- تعريف الطالب والطالبة بأصول المذاهب الفكرية المعاصرة وأباطيلها.
- بيان موقف الشريعة الإسلامية من مزاعم هذه المذاهب.
- التحذير من ضلالات هذه المذاهب الفكرية.
- التعرف على أصول ومنابع المذاهب الفكرية المنتشرة في البلاد الإسلامية.
- تسليح الطلاب والطالبات بالعلم الشرعي والحجج والبراهين للرد على مزاعم تلك المذاهب.
- العمل على تكوين الوعي لدى دارسي هذه المادة بشمولية هذا الدين لجميع نواحي الحياة.

■ تقوية اعتزاز المسلمين بدينهم.

إلى غير ذلك من الأهداف والمقاصد والغايات من تدريس هذه المادة. وتتكون هذه المادة من عدة محاور نبدوها في الجزء الأول بالتعرف على مناخ وأسباب نشأة المذاهب الفكرية في الغرب ، ثم بيان لأساليب التضييل التي ينتهجها رواد هذه النظريات والمذاهب، ونختم الجزء الأول بعرض ونقد لأبرز النظريات الغربية، على أن تستكمل بقية مفردات هذه المادة بعرض ونقد لأبرز المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة في الجزء الثاني من هذه المذكرة بإذن الله تعالى.

المحور الأول : مناخ وأسباب نشأة المذاهب الفكرية في الغرب

ويشتمل على النقاط التالية نذكرها إجمالاً ثم نعرضها بالبيان والتفصيل:

أولاً : فترات السبي التشرد و الاضطهاد والتشرد في حياة اليهود .

ثانياً: الاضطهاد الروماني للنصرانية.

ثالثاً : التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل.

رابعاً : غموض وتحريف عقائد اليهود والنصارى .

خامساً : دور المجامع في انحراف الكنيسة .

سادساً : طغيان الكنيسة وفساد رجال الدين النصراني .

سابعاً : النهضة الأوروبية في القرن ١٥ والحركة الإنسانية .

ثامناً : الحركات الإصلاحية للكنيسة .

تاسعاً: ظهور منهج نقد الكتاب المقدس .

عاشراً: ظهور منهج الشك عند " ريني ديكرت" في القرن السابع عشر
١٥٩٦-١٦٥٠ م .

الحادي عشر: ظهور فلسفة التنوير والمذهب العقلي في القرن ١٨ م .

الثاني عشر: المذهب الوضعي العلماني في القرن ١٩ م .

الثالث عشر: الثورة الفرنسية والصناعية أواخر القرن ١٨ م ١٧٨٩ م .

الرابع عشر : دور اليهود في الثورة الفرنسية .

أولاً : فترات السبي والتشرد والاضطهاد في حياة اليهود :

١- اضطهاد اليهود في مصر :

يذكر المؤرخون أن بني إسرائيل دخلوا مصر واستوطنوها ونعموا فيها
بالراحة والأمان في عهد يوسف عليه السلام ، وأن الاضطهاد والإذلال
والاستعباد لبني إسرائيل في مصر بدأ بعد اعتلاء الفراعنة العرش وقد
ذكر الله تعالى اضطهاد فرعون لبني إسرائيل ، قال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} (٤) سورة القصص .

ويقول جل وعلا ممتنا على بني إسرائيل : {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} (١٤١) سورة الأعراف .

٢- التيه في صحراء سيناء :

١
٤- سقوط مملكة يهوذا في السبي البابلي على يد بنو خذ نصر (بختنصر)
٥٠٦-٥٦٢ ق.م .

بعد زوال الآشوريين وقعت مملكة يهوذا بين شقي الرحي ، مصر وقوة بابل الصاعدة وتأرجحت أورشليم بين حكم الكلدانيين وسياسة التحالف مع المصريين التي اعتبرها " بنوخذ نصر " تحدياً للكلدانيين فهجم على أورشليم وسبى اليهود إلى بابل على ثلاثة مراحل .

٥- الاضطهاد اليوناني والشتات الهيليني :

بعد السبي البابلي عاد بعض اليهود إلى فلسطين ومنهم من بقي تحت الحكم الفارسي وباستيلاء الاسكندر الأكبر على فلسطين ٣٣٢ق.م ،بدأ الحكم اليوناني لليهود أو ما يسمى بالعهد الإغريقي والذي استمر حتى عام ٦٣ق.م.

وبايعة اليهود وخضعوا له ، ولكن بموته ٣٢٣ق.م وقع اليهود تحت وطأة قوتين انقسمتا عن مملكة الاسكندر وهم : البطالمة والسلوقيين تعرض فيها اليهود للشدائد والمحن ، وتعرض اليهود مرة أخرى للشتات الهيليني إلى مصر وسوريا وآسيا الصغرى وشكلوا مع من سبقهم في البلاد الفارسية من الشتات اليوناني مسمى يهود الشتات.

٦- الاضطهاد الروماني والشتات الأخير :

كان الاضطهاد والشتات الأخير لليهود عندما زحف الجيش الروماني على أورشليم ٦٣ق.م بعد حصار انتهى بقتل اثني عشر ألفاً من اليهود ، واستمر اليهود في شتات ، وبعد الميلاد قاموا بثورات على الحكم الروماني ولكن الرومان حين حاصروا أورشليم عام ٧٠م قتل في ذلك الحصار سبعون ألفاً من اليهود وثار اليهود مرة أخرى على الحكم الروماني وتم قمع تلك الثورة والقضاء عليها عام ١٣٥م بعد مذبحه رهيبه في صفوف اليهود كما يذكر المؤرخون ، وتشتت اليهود من ذلك التاريخ وهو ما عرف بالشتات الأخير .

ولم يعرف اليهود الاستقرار في تاريخهم إلا في فترة حكم داوود وسليمان عليهما السلام فعاش اليهود في شتات معظم تاريخهم بدءاً بالسبي الآشوري ومروراً بالبابلي والهيليني وأخيراً الروماني طوال تاريخهم .

خلاصة :

ولا يخفي ما يكون لتلك الأعوام والعقود والقرون من الزمان من أثر في فقدان اليهود لأصل شريعتهم التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ومدى الاحتكاك بالثقافات والشعوب الوثنية بل والخضوع لتلك الوثنيات من أثر بارز في بعدهم عن دينهم ودخول التحريفات الوثنية عقيدة الغالب والمضطهد في صلب عقيدة وشريعة المغلوب والمشرود والمضطهد .

ثانياً: الاضطهاد الروماني للنصرانية :

ولم يكن الشتات والاضطهاد مقتصرًا على اليهود بل قد نال النصارى والمسيحيين الذي كانوا على ديانة التوحيد جانب من ذلك الاضطهاد ، وأدوار من الاضطهاد الديني كان يشتد ويخف من حين لآخر منذ أن رفع الله عيسى عليه السلام وبلغ ذروته في عد الإمبراطور الروماني " نيرون " ٥٤-٦٨ م . والذي لفق عليهم تهمة حرق مدينة روما فأُنزل عليهم ألوان العذاب وكان يحكم عليهم بالقتل والإبادة الجماعية ، ثم تلي ذلك مجموعة من الاضطهادات حتى بداية القرن الرابع الميلادي .

وفي ظل هذا الاضطهاد ضعفت صلة النصارى بدينهم وحرفت الأناجيل وأحرق بعضها ، وبدأ النصارى يتنكرون لدينهم وينقسمون إلى فرق وجماعات ، حتى جاء عهد قسطنطين الأول والذي أعتنق المسيحية (٣٠٦ - ٣٣٧) فجمع بين ثقافة الوثنية السابقة والديانة النصرانية ودعا إلى انعقاد مجمع نيقية ٣٢٥م والذي أقرت فيه عقيدة التثليث وطرد الطوائف الموحدة وأحرق كتبهم وأناجيلهم وأصبحت عقيدة التثليث هي العقيدة الرسمية لجميع طوائف النصارى مع تعددها واختلافها إلى يومنا هذا .

ثالثاً : التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل :

لقد تعرضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل وتزوير وتلبيس وإيهام وإخفاء كما أخبر الله بذلك في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يخبر الله تعالى عن تحريفهم فيقول جل وعلا :
{أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٧٥) سورة البقرة .

وقال تعالى : {مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} (٤٦) سورة النساء .

وقال عز وجل : {فَبِمَا نَفَضِهِم مِّثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٣) سورة المائدة .

وقد أفرد عدد من علماء المسلمين هذا الموضوع بمؤلفات تبين تحريفهم كتبهم وعقائدهم ، وثبت ذلك في مؤلفات عدد من الكتاب الغربيين وظهرت مدرسة تخصصت في نقد كتبهم تُسمى : مدرسة نقد الكتاب المقدس .

مصادر ومراجع تشير إلى ذلك التبديل :

١- الرد الصحيح على من بدل دين المسيح . " ابن تيمية "

٢- هداية الحيارى . " لابن القيم "

٣- الفصل . " لابن حزم "

٤- اظهر الحق . " رحمة الله الهندي "

٥- العقائد الوثنية . " محمد البشير "

١
٦- الفارق بني المخلوق والخالق . " القرافي "

٧- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة . " موريس بوكاي " .

رابعاً : غموض وتحريف عقائد اليهود والنصارى

تصور اليهود للذات الإلهية :

ومن التحريفات التي وقعت في كتبهم وعقائدهم ذلك الانحراف في تصور اليهود والنصارى للذات الإلهية ، فقد جعلوا له الأبناء ووصفوا الله سبحانه وتعالى بأبشع وأسوأ الأوصاف كما زعموا .

فاليهود في كتبهم المحرفة وفي توراتهم ينسبون التعب إلى الله حين يزعمون قائلين: إن الله تعب في اليوم السادس وهو يخلق الكون واستراح في اليوم السابع ، وبارك اليوم السابع وقدس لأنه استراح فيه .

ومن ذلك نسبهم الجهل لله سبحانه وتعالى وعدم علمه ما حدث لأدم عندما أكل من الشجرة إلا بعد أن حدثت تلك الواقعة .

وأن الله - كما يزعمون - يندم على إغراق الأرض بالطوفان ، وقبل ضيافة إبراهيم وأكل مع إبراهيم على مائدته .

وأنه كما يزعمون دخل في عراك ومصارعة مع يعقوب دامت ليلة كاملة وعندما أوشك يعقوب أن يتغلب عليه لجأ إلى خداعه تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً .

وأن ذلك الإله وهو مايسمونه (يهوه) إله خاص باليهود وقد أبطل الله مزاعمهم في كل آية وردت في القرآن تنزه الله عن إتخاذ الولد أو الشريك وفي كل الآيات التي تبين صفات الله وأسمائه الحسنى بل كل آيات الله الكونية والشرعية فيها رد على مزاعمهم.

ويخبر الله سبحانه وتعالى عن جانب من تلك المزاعم ويمقتهم على قولهم فيقول جل وعلا : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٣٠ - ٣١) سورة التوبة .

ويقول سبحانه وتعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (٦٤) سورة المائدة .

وقال تعالى : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (١٨١) سورة آل عمران

تصور اليهود لأنبياء الله :

ألصقوا بأنبياء الله أسوأ التهم وأشنع الأوصاف ، وقد وردت تلك الأوصاف والتهم في كتبهم المزورة عن أنبياء الله : نوح وإبراهيم ولوط وداوود وعيسى عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وكيف لا تصدر منهم تلك الأوصاف المستهجنة لأنبياء وقد وصفوا الله سبحانه وتعالى بأوصاف النقص والإذلال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً عظيماً .

كيف لا وهم قتلة الأنبياء وقد أخبر الله عن شناعة فعلهم بقوله : { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } (٨٧) سورة البقرة .

وقال تعالى واصفاً حالهم : { كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } (٦١) سورة البقرة .

وقد لا مهم الله على عدم اتباعهم الحق قال تعالى : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (٨٩) سورة البقرة .

واستحقوا غضب الله والطرده من رحمته نتيجة إعراضهم عن الحق : {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} (٦٠) سورة المائدة .

مزاعم اليهود والنصارى في صلب المسيح :

يدعون أن المسيح عليه السلام صلب تكفيراً لخطايا البشرية ، و يرد الله زعمهم وبين بطلانهم قال تعالى : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (١٥٧-١٥٨) سورة النساء .

وهذه العقيدة التي يشترك فيها اليهود والنصارى في زعمهم أن عيسى عليه السلام صُلب وُقُتل ، وكانت النصارى تتهم اليهود وتعاديهم لأجل ذلك ولكن المجامع الكنسية ارتأت أن تبرئ اليهود من دم المسيح على حسب اعتقادهم .

ثم إن النصارى انحرفوا في عقيدتهم في عيسى عليه السلام فادعوا أنه إله وابن إله وروح قدس كما زعموا ويبطل الله دعاواهم في عدد من آيات القرآن الكريم .

مزاعمهم في ألوهية المسيح عيسى عليه السلام وحكم القرآن عليهم

يرد الله عليهم زعمهم في هذه العقيدة الباطلة يقول تبارك وتعالى : {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ} (٧٣) سورة المائدة .

وقال تعالى : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٣١) سورة التوبة

وينفي سبحانه وتعالى مزاعمهم والمشككين في نسبه على لسان نبيه عيسى عليه السلام عندما أنطقه في المهد قال تعالى : { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ } (٣٠-٣٤) سورة مريم .

- ويقول سبحانه وتعالى : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (٥٩) سورة آل عمران .

- ويقول سبحانه وتعالى : { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (٧٥) سورة المائدة .

هذه مزاعم النصارى في شخص عيسى عليه السلام يرد الله عليهم ويبطلها وامتداداً لتحريفهم كتبهم وعقائدهم ادعوا أن عيسى عليه السلام صُلب تكفيراً عن خطايا البشرية بدءاً بخطيئة آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها .

عقيدة الخطيئة وموقف الإسلام منها :

ومزاعمهم حول ما حدث من آدم عليه السلام فيما أخبر الله عنه بقوله : { وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } (١١٥-١٢١) سورة طه .

وقد سألا الله المغفرة وندما واستغفرا الله: { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٢٣) سورة الأعراف .

فسمع الله نداءهما واستجاب لهما وقبل توبتهما : {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٣٧) سورة البقرة ، وزاده من فضله عندما اجتباها جل وعلا : {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} (١٢٢) سورة طه .

والله سبحانه وتعالى كما أخبر جل وعلا قبل توبة آدم عليه السلام واجتباها وهداه ، وكيف يحتمل عيسى عليه السلام كما يزعمون خطايا البشرية والله تعالى يقول : {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (٣٨) سورة المدثر .

ويقول الحق تبارك وتعالى : {مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} (١٥) سورة الإسراء .

وقال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} (٤٦) سورة فصلت .

وفي البخاري خبر محاجة آدم موسى فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((حاج موسى آدم فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتولمني على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقني وقدره عليّ قبل أن يخلقني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى)) .

هذه بعض صور التحريف في كتب وعقائد اليهود والنصارى وموقف الإسلام من تلك التحريفات والعقائد الباطلة ، وهذا هو جانب من المناخ الفكري الذي عايشه الغرب والتصور المحرف للدين .

ولم يقتصر التحريف والتزوير في كتب اليهود والنصارى وعقائدهم على ما ذكرنا فحسب بل طال التحريف كل عقائدهم وشرائعهم وعباداتهم وما استحدثوه من عبادات مبتدعة تنافي العقل والفطر السليمة ومن ذلك : عبادة التماثيل والصور والأيقونات ، والرهبانية التي ابتدعوها ، وما يسمى بصكوك الغفران ، ولا يخفي ما كان لبولس ورجال الكنائس من دور كبير في تحريف عقائد النصارى .

خامساً: دور المجامع في انحراف الكنيسة :

لعبت المجامع والمؤتمرات النصرانية دوراً كبيراً في التبدل والتغير المستمر في عقائد وشرائع الديانة النصرانية ومن أبرز تلك المجامع :

- ١- مجمع نيقية ٣٢٥م أقرت فيه عقيدة التثليث .
- ٢- مجمع القسطنطينية ٣٨١م تقرر عقيدة ألوهية روح القدس .
- ٣- مجمع أفسس ٤٣١م تقرر فيه عقيدتهم وزعمهم أن مريم ولدت الإله وأنها بذلك أم الإله [تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً] .
- ٤- مجمع خلقيدونية ٤٥١م تقرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين غير متحدة وخالفته في ذلك الكنيسة المصرية في القول بطبيعة واحدة .

ولا تقف المجامع عند حد معين في تشريعاتهم ومن المجامع من برأ اليهود من دم المسيح – على ما يعتقدونه في صلب المسيح - : { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شُبَّهَ لَهُمْ } (١٥٧) سورة النساء .

سادساً : طغيان الكنيسة وفساد رجال الدين النصراني

وينقسم هذا الطغيان إلى ديني ، وعقلي ، ومالي ، وسياسي .

١- الطغيان الديني :

لقد منح رجال الكنيسة لأنفسهم العصمة من الخطأ فيشرعون ما يشاؤون باعتبارهم مصدرأ للتشريع ووضعوا نظاماً هرمياً لرجال الكنيسة وسلطة تشريعية نبعت من تلك الوصية التي زعموا أن المسيح منحها لبطرس ولرجال الدين من بعده فيزعمون أن المسيح قال لبطرس [أعطيك مفاتيح

ملكوت السماوات فكل ما تربطه في الأرض يكون مربوطاً في السماء [فبدأوا يمارسون أعمال الألوهية ، وتقديس رجال الدين باعتبار أن الحكم الأوحد والمعرفة لا تأتي إلا من قبلهم وبدأ ذلك من خلال مزاعمهم: ألوهية المسيح عليه السلام ، ومريم والروح القدس ، واختراع قصة الصلب وعقيدة الفداء ، وعبادة الصليب والتماثيل .

وتبدأ الهيمنة الكنسية على حياة الإنسان منذ ولادته ، إذ لا يُعد مسيحياً حتى يُعمد ، والتعميد لا يتم إلا على يد الكاهن ، ومن ثم تبدأ حياة المسيحيين بتلك الوساطة الكهنوتية ، ولا تنفك عنه حتى بعد وفاته ، فهو الذي يزوجه ويبارك ويقدم زواجه ، ويصلي به صلاة الأحد ، ويتقبل اعترافه وتوبته ، ويصلي عليه حين يموت ، فيعيش النصراني حياته في إذلال وعبودية لرجال الكنيسة ، وقد منحوا لأنفسهم العصمة من الخطأ فيشرعون ما يشاءون باعتبارهم مصدراً للتشريع الذي لا يجوز عليه الخطأ .

٢- الطغيان العقلي والفكري :

من العقائد الكنسية في النصرانية ما يسمى بالأسرار الكنسية بحيث لا ينبغي للعقل أن يسأل كيف تكون عقيدة التثليث مثلاً أو مدلول العشاء الرباني وغيرها من العقائد الغامضة ، وتحرم الكنيسة على عامة الناس قراءة كتبها الخاصة والتعمق في أصول عقيدتها ، هذا بخلاف ما ورد في كتاب الله تعالى من ندب إلى تدبر كلام الله تعالى قال تعالى : {أَفَلَا يَنْدَبُرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (٨٢) سورة النساء . {أَفَلَا يَنْدَبُرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (٢٤) سورة محمد .

والله يدعونا أن نتعبده على بصيرة ونور وهداية قال تعالى : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١٠٨) سورة يوسف

ويدعونا إلى التفكير في مخلوقاته جل وعلا : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

حَلَفَتْ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَفَتْنَا عَذَابَ النَّارِ { (١٩٠-١٩١) سورة آل عمران

٢- الطغيان المالي :

فتحت الكنيسة مجالات عدة لدعمها مالياً بدءاً بصكوك الغفران كما يزعمون ورسوم الاعتراف ، ومساندتها لنظام الإقطاع ، وتقبل الهبات ، والهدايا وفرض الإتاوات والعشور ، والغصب ، والنهب ، حتى أصبحت من ذوات الإقطاع فوقفت في تلك العصور الوسطى قبل ثورة الغرب على الكنيسة في صف الظلم ونظام الإقطاع ، ولا زالت تقف في صف الظلم تسانده وتذود عنه .

ووقوف الكنيسة بجوار نظام الإقطاع من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ثورة الغرب ضد الكنيسة وكل ما هو غيبي وضد نظام الإقطاع الذي كان من أشد الأنظمة المالية ظلماً وطغياناً في تلك الفترة ، فقد كان أمير الإقطاع هو الحاكم المطلق في إقطاعيته لا قانون إلا قانونه ، وهو صاحب السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية وهو المالك لكل شيء والبقية عبيد ، إما عبيد السيد أو عبيد الأرض يورثون ويبيعون وينتقلون مع الأرض ، وللاقطاعي حق التصرف في كل ما هو للعبد من أهل وزوجه ومال وذرية .

يقول " ول ديورانت " ، صاحب كتاب قصة الحضارة : ((أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا ، بما تملكه لنفسها من أوقاف وعشور وهبات وضرائب ومن تسخير الناس لخدمتها)) .

٣- الطغيان السياسي :

فقد زعمت الكنيسة أن المسيح قد أعطى قيصر وحكمه شرعية الوجود وأن لها حق التصرف والتشريع في كل ما في الوجود .

٤- الطغيان العلمي :

فقد حاربت الكنيسة الكشوف العلمية ونصبت محاكم التفتيش لحرق (الهراطقة) الذين يعارضون أقوالها من العلماء وأحرقت آلاف العلماء وهم أحياء، بل وعلى حد قول أحد الكتاب الأوربيين : كثيراً ما كانت الكنيسة تلجأ إلى الإعدام البطيء مبالغة في التنكيل بمخالفها فتسلط الشموع على جسم الضحية وتخلع أسنانه وتقطعه أو صالماً حتى يموت وقد ذكر عدد كبير من الكتاب الأوربيين قصص تلك المحاكم وتجاهل العديد منهم تلك المحاكم التي نصبت للمسلمين في أسبانيا لإخراجهم من دينهم .

٥- فساد رجال الكنيسة :

ابتدع النصارى رهبانية : { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } (٢٧) سورة الحديد .

ولكنهم كانوا يقولون ما لا يفعلون وحرموا على أنفسهم الزواج وهم منغمسون في العهر والفساد ، والسكر والعربدة و صنوف الفساد والإفساد وفضائح كنائسهم تنتشر في كل زمن إلى يومنا هذا ، وقد أشار إلى تلك المخازي ، فوزي مصطفى غزال في كتابه : فضائح الكنائس .

الخلاصة:

فحين يستعرض الإنسان هذا التاريخ الحافل بالمخازي والخطايا ومحاربة العقل والعلم ومناقضة الفطرة ، فلا يعجب من النهاية التي وصل إليها الناس من انسلاخهم ونفورهم من الدين المحرف ومن سلوكيات رجال الكنيسة.

وساعد على ذلك اتصالهم بالمسلمين وما شاهدوه في الأندلس من تقدم علمي وحضارة رائدة تدعوا إلى العلم وترفع من منزلة العلماء ، كل ذلك أدى إلى ثورة المجتمع الأوربي على الظلم والطغيان ، ظلم الكنيسة ورجالها وطغيان النظام الإقطاعي

ومن جانب آخر وأهم فقد استفادت أوروبا من المنهج القرآني في نقد وبيان تحريف أهل الكتاب لكتبهم وما وقعوا فيه من انحراف عقدي نشأت عن ذلك ما يسمى بمدرسة نقد الكتاب المقدس .

سابعاً : النهضة الأوروبية والحركة الإنسانية في القرن الخامس عشر

ويقصد الأوروبيون بالنهضة إحياء العلوم والآثار الرومانية والعودة إلى الفلسفات اليونانية والثقافية الإغريقية ، لا يزال الأوروبيون يفتخرون ويمجدون الحضارات اليونانية وثقافتها الإغريقية ويظهر ذلك في الأدب المسرحي الأوربي والذي مازال يعرض المسرحيات اليونانية القديمة التراجيدية منها والكوميديية .

ولقد نشأ المسرح اليوناني بالمأساة التي ظهرت نتيجة تصورهم للآلهة البشرية الخطاء الواقعة في الفساد الخلقى والإجرامى ، فظهرت حيرة الإنسان اليوناني من تلك الآلهة التي اتخذها وظهرت أساطير الآلهة اليونانية " الميثولوجيا " فنشأت " التراجيديا " أي الحزن والقصص والمسرحيات الحزينة التي تصور تلك المأساة ، ثم بدأ اليوناني يسخر من نفسه وللخروج من تلك الدائرة الحزينة أنشأ أدب الملهاة (الكوميديا) ومن أمثلة تلك العقد المحزنة والمسرحيات التراجيدية ما تسمى ((عقدة اوديب)) أو ((تراجيديا أوديب)) ومضمونها :

رجل قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها ولدين ثم يكتشف بالصدفة أنها أمه ، فعمدت الأم إلى شنق نفسها ، وسمل أوديب عينيه .

فهذا هو الأدب والمسرح والقصص اليونانية التي ما زالت تعرض إلى يومنا هذا في المسرح الأوربي.

فهل ظروف نشأتها تناسب أن ينشأ مثل هذا الأدب (اصطلاحاً) في بلاد الإسلام ؟ .

وإن كان للأوربيين مبرر في حيرتهم نتيجة تحريف عقائدهم ومن أبرزها عقيدة التثليث فإذا كان ذلك مسوغاً لهم فما الذي يدفع أهل الحداثة في بلاد

الإسلام إلى إنشاء مثل ذلك الأدب الفاسد ؟ وأين الحيرة في ديننا حتى ينشئوا مثل هذا الأدب ولكنها سنن الله في خلقه ((فلتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) .

وكان من نتائج النهضة الأوروبية والعودة إلى الحضارة اليونانية والرومانية ظهور ما يسمى بمبدأ الإنسانية ، حيث ركز الإنسانيون في كتبهم الأوروبية وفنونهم على الفردية الإنسانية وحرية الفرد في التفكير والحكم على الأشياء ، وقد أعلنت هذه الحركة شأن الطبيعة الإنسانية والحياة الدنيوية لذلك يسمى العلماء الذين خصصوا أنفسهم لدراسة آداب اليونان والرومان بالإنسانيين كما تسمى عقائدهم ومثلهم العليا بالإنسانية . فانظر رعاك الله منطلق مبدأ المذهب الإنساني والذي يتغنى به بعض المسلمين من غير أن يتبينوا منطلق هذا المسمى .

ثامناً : الحركات الإصلاحية للكنيسة

ومنذ الاتصال الغربي بالمسلمين بدأت تظهر حركات إصلاحية وثائرة على رجال الكنيسة وما جعلوه لأنفسهم من قداسة فظهرت حركات تنكر عقيدة الاعتراف وتعارض مهزلة صكوك الغفران وتحارب تقديس الصور وتجلت تلك الحركات في دعوة مارتن لوثر في القرن ١٦م البروتستانتية المحتجة والثائرة على الكنيسة .

ظهر في القرن السادس عشر " مارتن لوثر " ١٤٨٣ - ١٥٤٦ م ثم تلاه "كالفن" اللذان ظهرت على أيديهما حركة الإصلاح البروتستانتية احتجاجاً على : صكوك الغفران وعقائد الاستحالة، والعشاء الرباني ، والرهبنة وغيرها من العقائد الكنسية الفاسدة ولكنها لم تتجه إلى تصحيح التحريف الذي دخل عقيدة النصارى عقيدة التثليث والصلب وحقيقة الأناجيل .

تاسعاً : ظهور منهج نقد الكتاب المقدس

نظراً لما اشتملت عليه كتبهم الدينية المحرفة من المتناقضات العقلية والعناصر الاسطورية والتحريفات والأخطاء الأمر الذي أدى بالإنسان الغربي إلى الشك في هذا التراث وقد زاد من هذا الشك عجز الدين المحرف عن مواكبة الثورة العلمية التي شهدتها أوربا في القرن ١٨ م .

فقد ظهرت مدرسة نقدية تطبق منهج النقد التاريخي على الكتب الدينية
ومن أبرز روادها " يوليوس فلهاوزن " ، " وموريس بوكاي " صاحب كتاب : القرآن والتوراة والإنجيل – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة واستفادوا كذلك من المنهج القرآني في بيان ما وقع في كتبهم من تحريف .

عاشراً : ظهور منهج الشك عند " ريني ديكارت " في القرن السابع عشر ١٥٩٦-١٦٥٠ م .

أعجب ديكارت بوضوح الرياضيات ودقتها وإحكام براهينها واعتقد أن اختلاف الفلاسفة مدعاة للشك في الفلسفة ، وكل ما لم يكن علمي تجريبي ثم بدأ الشك لديه يتدرج حتى في الحواس والعقل لأنها كما يقول تخضع أحياناً واستدلالات العقل كذلك يقع منها الخطأ حتى وصل إلى ما يسميه الشك المطلق فيقول : ((أنا أستطيع أن أشك في كل شيء ما خلا شكّي))
ويصرح : بأنه ليس هناك شيء إلا ويستطيع أن يشك فيه على نحو ما ، وقد تبنى هذه الفلسفة عدد من الفلاسفة بعده أمثال : " دافيد هيوم " و " جون لك " وأصبحت اتجاهاً في القرن السابع عشر مما أدى إلى زعزعت ثقة الناس في رجال الكنيسة بل في الدين بصفة عامة .

الحادي عشر: ظهور فلسفة التنوير والمذهب العقلي في القرن الثامن عشر :

أعقب ظهور الفلسفة الشكية ظهور ما يسمى بعصر التنوير في القرن الثامن عشر ، والتنوير حركة فلسفية نشأت في أوروبا في القرن الثامن عشر على يد عدد من الفلاسفة أمثال : " فولتير " و " روسو " و " مونتسكيو " و " شيلر " و " جوثة " و " كانت " وغيرهم يقصد بها تمجيد العقل بدلاً عن قداسة الدين ويعرفها أحدهم بقوله: (التنوير يعني أنه لا سلطان على العقل إلا للعقل) إذن لا يؤمنون بالغيب ولا الوحي ولا شريعة ولا إله ولا دين فلا اعتداد لديهم إلا بالعقل والدعوة إلى التحرر من سلطة الدين والتقاليد ، ويعرفها " مراد وهبة " وهو أحد المتأثرين بهذا الفكر فيقول : ((إنها الخروج من الأسطورة إلى العقل)) ويقصد بالأسطورة : الدين .

وكما هو مشار إليه في تعريف فلسفة التنوير بأنها هجوم على الدين والوحي والإيمان بقدرة العقل على فهم الكون والاعتماد على ما هو محسوس وقد ساعد على هذا الاتجاه ما آل إليه الدين النصراني المحرف من معارضته لمقتضيات العقل .

الثاني عشر : المذهب الوضعي العلماني في القرن التاسع عشر

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر والذي كان فيه العقل مصدراً للمعرفة مع إقصاء مصدر الغيب والوحي ، وظهرت الفلسفة الوضعية ، والتي يعتمد فيها على معطيات التجربة وحدها والإيمان بما هو محسوس مع إقصاء كامل لكل العناصر الغيبية واعتبار الطبيعة وحدها كمصدر للمعرفة اليقينية ، ولقد كان ثمة تحولات قد هيأت الفكر الغربي ليصب أساليب تفكيره في قوالب الوضعية ، فقد كان الغرب منذ عصر النهضة مسرحاً لصراع فكري تبادلت فيه الاتجاهات المذهبية الأدوار وكانت القضية الكبرى هي إيجاد أسلوب حاسم في التفكير يقوم مقام التفكير الديني ، وكانت الوضعية تعبيراً عن أزمة العقل الغربي حول إيجاد مصدر للمعرفة : بدأ عندهم بالمصدر الديني في عصور سيطرت الكنيسة على الفكر الغربي ثم انتقل في عصر التنوير إلى المصدر العقلي وانتهى بهم الحال إلى المصدر الوضعي التجريبي مع إقصاء لمصادر الدين والعقل معاً .

واعتقد فلاسفة الوضعية أن فلسفة التنوير العقلية فشلت فيما أرادت أن تصل إليه وهو إبعاد التوجيه الكنسي عن توجيه الإنسان ، فالغاية الأولى للمذهب الفلسفي الوضعي هي معارضة الكنيسة ومعارضة معرفتها إلا أن المذهب الوضعي في الوقت الذي ينكر فيه دين الكنيسة يضع ديناً جديداً هو دين الإنسانية والطبيعة أو الحقيقة أو الواقع أو الحس كلها تدل على معنى واحد عند الوضعيين باعتبارها مصدراً للمعرفة .

وكان لتسلط رجال الكنيسة وفسادهم وما حدث من تحريف في أصول الديانتين اليهودية والنصرانية ومصادمة عقائدهم المحرفة للتفكير العقلي دور بارز في ظهور الوضعية في أوروبا في القرن التاسع عشر وقد ساعد على ظهورها كذلك ما تحقق من نجاحات في مجال العلوم التجريبية وهكذا مع نهاية القرن الثامن عشر وبدء القرن التاسع عشر كانت ملامح الفكر العلماني واضحة ومتغلبة على الاتجاهات الكنسية ، وهذا الوضع الذي مهد لظهور الثورة الفرنسية ١٧٨٩م والتي كانت أكبر سند للوضعية .

الثالث عشر : الثورة الفرنسية والثورة الصناعية ١٧٨٩م

كان للظلم الديني الذي كانت تمارسه الكنيسة على الأفراد والظلم السياسي الذي كان يمارسه الحكام والظلم الاقتصادي الذي كان يمارسه الإقطاعيون أثر كبير في إشعال ثورة علمانية تفصل الدين نهائياً عن شؤون الحياة ينطلق مفكروها من قاعدة: ((اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)) .

فقامت هذه الثورة على النظام الإقطاعي والكنسي ، فألغت أولاً العشور الكنسية ثم صادرت أملاك الكنيسة وقامت بحل طوائف الرهبنة الدينية وتحرير الرهبان والراهبات ثم أردفت ذلك بتخفيض عدد الهيئات والأشخاص الكهنوتية .

وقد أسفرت الثورة الفرنسية عن إعلان حقوق الإنسان الأوربي وحرية ورفعت شعار الحرية والمساواة وإعلان قيام أول دولة علمانية في أوروبا .

وقد سارت الثورة الصناعية جنباً إلى جنب مع الثورة الفرنسية حيث أطلقت للفرد الحرية في التفكير والاختراع والعمل الذي كان من شأنه قلب

نظم الإنتاج القديمة رأساً على عقب ولقد كانت الثورتان من أهم العوامل في التركيز على فردية الإنسان .

الرابع عشر : دور اليهود في الثورة الفرنسية

ولقد استغل اليهود تلك الثورة لتحقيق مصالحهم وللإفساد في الأرض وهم الذين بين الله سوء أفعالهم : { وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (٦٤) سورة المائدة .

وقد تكفل الله بقهرهم وتسليط العذاب عليهم إلى قيام الساعة جزاء كفرهم قال تعالى : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (١٦٧) سورة الأعراف .

ولكن هناك حالات استثنائية في تاريخهم يشير الله إليها بقوله تعالى : { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تَفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } (١١٢) سورة آل عمران .

ترتفع عنهم الذلة في فترات ويمكنون في الأرض لغاية وحكمة أرادها الله .

ولقد استغل اليهود تلك الحالة من الاحتقان والغضب السائد ضد رجال الكنيسة ونظام الإقطاع لتنفيذ مخططاتهم المتمثلة في استعباد الشعوب وسلب ممتلكاتهم وطاقاتهم ولمحاربة كل الأديان وخصوصاً السماوية التي تصف اليهود وتظهرهم على حقيقتهم .

ورفع اليهود شعار تحرير العبيد والأرقاء ، وحرية العلم وتغليب جانب العقل والمساواة والإخاء كما يزعمون .

وقد وضع أصل هذه المخططات جماعة النورانيين من الحاخامين اليهود وعلى رأسهم من أثرياء اليهود " روتشيلد الأول " ودعا اثني عشر رجلاً يهودياً من أرباب المال إلى اجتماع في فرانكفورت للتخطيط لهذه الثورة .

وأكد على حقيقة شعاراتهم ، وأن الحق هو القوة ، وأن الحرية السياسية ليست سوى فكرة لا يمكن تطبيقها ، وأن سلطة الذهب تغلب سلطة الحكام الأحرار ، وأن الفضائل الاجتماعية كالصدق والاستقامة ليست إلا عيوباً كبرى في السياسة وعملوا على إشاعة الفاحشة والرشوة ومحاربة الأخلاق والدين ، والعمل على إغراق الشعوب في الديون .

وانطلقت الثورة وعم القتل والتدمير لكل من عرف بولائه للملك والبلاد وبدأ اليهود في محاربة الدين والأخلاق ونشر الفساد بكل الوسائل المعلننة والسرية لنشر الإلحاد ومحاربة عقائد الإيمان بالغيب وإنكار وجود الله وبت النظريات والمذاهب المبهرجة لتحقيق أهدافهم .

لقد ولد من الثورة الفرنسية والصناعية التي تبعتها مجتمع جديد يتحكم فيه اليهود إذ أسسوا فيه البنوك الربوية والنظام الرأسمالي وأنشؤوا مجتمعاً جديداً بلا دين ولا أخلاق استخدموا في ذلك وروجوا له بالنظريات أو ما يسمى بالنظريات مثل نظريات

" فرويد ، ودوور كايم ، وكونت " لقد سعوا في الأرض فساداً : { وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (٦٤) سورة المائدة . لقد سنحت لهم الفرصة حين أخذت أوروبا تنسلخ من دينها ، ووجدوا في الثورة الفرنسية فرصتهم (١٧٨٩م) لتحقيق مصالحهم المتمثلة في إنشاء البنوك والقروض الربوية لدعم وتمويل الثورة الصناعية ، وادعوا تحرير العمال من نظام الإقطاع وفي الحقيقة هدفهم توفير العمالة اللازمة لقيام الصناعات التي يديرونها وهدفهم الآخر محاربة الدين والثورة على كل ما هو ديني يقف أمام تحقيق مطامعهم .

المحور الثاني: من وسائل التضليل لترويج الشعارات والآراء والمذاهب الفكرية المزيفة :

سلك مروجو الفتن وممن يسعون في الأرض فساداً أساليب عدة لإضلال الناس وللترويج للمذاهب والأفكار الهدامة، وكان من أبرز تلك الوسائل والأساليب كما يذكر الدكتور: عبدالرحمن حبنكة – رحمه الله تعالى – ما يلي:

١- التخلية قبل التحلية، أي العمل على إخراج المسلمين من دينهم وتزيين الإلحاد ونشره قبل دعوتهم إلى النصرانية ، مع التظاهر بالإلحاد حتى يقع المسلمون في شباكههم، مع محاربة تطبيق الإسلام وتشريعاته .

٢- تسخير واستغلال مفكرين نابغين لوضع فلسفة مزخرفة وتزيينها للناس وجعلها مذهباً ومن أمثلة ذلك :

- تسخير "ماركس" وإنجلز لوضع فلسفة للشيوعية .
- تسخير "فرويد" لوضع أفكار في علم النفس تدفع الأجيال إلى الإباحة الجنسية، وكسر حدود العفة وهدم الأخلاق .
- تسخير "دارون" لوضع ما يسمى بنظرية التطور لإشاعة الإلحاد بالله .
- تسخير "دور كايم" لوضع نظريات في علم الاجتماع تلغي صلة الدين بعالم الغيب .
- تسخير الفيلسوف "نيتشه" لصياغة أفكار فلسفية تنكر وجود الخالق .
- تسخير "جان بول سارتر" لوضع أفكار فلسفية وجعل الوجودية عنواناً لهذه الأفكار .

٣- إعداد الجنود المأجورين والمخدوعين ودفعهم بمختلف الوسائل المتاحة لتوجيه الدعاية الواسعة للفكرة أو المذاهب المراد نشرها وفتنة الناس بها .

٤- تسخير واستتجار جملة من الكتاب والأدباء وأساتذة الجامعات والمدرسين في مختلف المعاهد العلمية وكتاب القصص والتمثيلات والمسرحيات للتمهيد للفكرة أو المذهب والإشادة العظيمة بصاحب الفكرة وإمام المذهب والإعلان بأنه صاحب عبقرية فذة ذات فتح في مجال العلم أو الفلسفة أو الإصلاح الاجتماعي أو الإصلاح الاقتصادي .

والعمل على تخصيص جوائز تقديرية محلية أو عالمية للإشادة بصاحب النظرية في حياته أو لتمجيده بعد موته .

وإدخال تلك النظريات في المناهج الدراسية فيتعلمها الدارسون ويستظفرونها ويكدون في تحصيلها كأنها حقائق علمية لا يرقى إليها شك .

وبذلك تتم اللعبة على وجهها المرسوم فإنه متى انتشرت الفكرة في مختلف فئات الناس كان لها مثل تأثير السحر فيقبلها من الأفراد من كان شاكاً فيها متردداً في قبولها أو رافضاً لها .

١
٥- التلبيس : وهو دس الأفكار الباطلة والمذاهب الفاسدة ضمن حشد أفكار صحيحة أو مقبولة إجمالاً ولها حظ من النظر الفكري السليم .

إن أي مضلل بفكرة أو مذهب أو طريقة باطلة لا يستطيع التأثير في مجموعة من الناس ما لم يدس ما يريد التضليل به ضمن مجموعة من الأفكار الصحيحة .

وحيلة التلبيس هذه من حيل اليهود وأساليبهم في المكر والتضليل لذلك خاطبهم الله بقوله : { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (سورة البقرة . ٤٢)

٦- الاستدراج : ويكون باستخدام الخطوات المتدرجة التي تنحدر بالمستدرج خطوة فخطوة ، وهذه من أساليب الشيطان التي حذر الله منها .

قال الله تعالى : { كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (سورة الأنعام . ١٤٢)

إن اتباع خطوات الشيطان تستدرج المتبع إلى الإسراف في المباح فإلى الوقوع في المكروهات والتهاون في المندوبات ثم إلى ارتكاب الصغائر من المعاصي والمخالفات ثم إلى ارتكاب كبائر الإثم والموبقات ثم إلى الإدمان عليها ونسيان الله ، ثم إلى الشرك الأكبر .

٧- الإيهام : بأن الفكرة قد غدت من المسلمات العلمية والحقائق التي لا تقبل النقض ولا النقد ، ولتأصيلها في أذهان الناس يوجه النقد الشديد اللاذع ضد كل من يناقضها ويخالفها مع استخدام وسائل الهزء والسخرية والتندر بالذين يأخذون بالرأي المخالف وإتهامهم بالرجعية والتخلف والجمود وعدم الفهم والتعصب الأعمى للقديم ونحو ذلك من العبارات .

٨- تسخير وسائل الإعلام المختلفة لبث هذه الأفكار بعد صياغتها بأساليب أدبية وفنية كاستخدام القصص والأفلام والتصوير والغناء والنكتة الساخرة .

وللإعلام عدة طرق لتحقيق أهدافه من ذلك:

- أسلوب النكتة: وللنكتة أثر كبير في الرأي العام وخاصة في الشعوب التي تميل بطبيعتها إلى ذلك، وقد يحدث أحياناً أن يكون لبعض النكات تأثير في الرأي العام أكبر وأعمق من تأثير المقالات الصحفية والأحاديث الإذاعية، ولذلك تعنى البلاد المعادية دائماً بجمع النكات ذات الهدف السياسي.

- أسلوب التكرار: فالدعاية السياسية أو الاجتماعية لا غنى لها مطلقاً عن التكرار وهي وسيلة من وسائل تثبيت المعلومات المراد إشاعتها بين الجماهير، ونحن عندما نعدّد هذه الأساليب قد لا نخص فقط الدعاية السلبية فقد نتعدها إلى الدعاية الطيبة الداعية إلى الحق.

- أسلوب الاستضعاف والاستعطاف: ويستعمل هذا الأسلوب بغية التأثير في نفوس المقابل، وعليه تعتمد الصهيونية كثيراً في نشر دعاياتها ضد الدول العربية في ربوع أمريكا، ومثاله، استخدمت الصهيونية عبارات مؤثرة في نفوس الشعب الأمريكي مثل قولهم (أعطونا لنعيش)، ومع هذه العبارة رسم طفل صغير يريد طعاماً فلا يجده، بذلك يستدرّون عطف الأمريكيين ويستجدون عطاءهم.

- الشعارات: وهي عبارة عن الكلمات البسيطة التي تصدر عن الزعماء في كل حركة من الحركات السياسية والاجتماعية ثم يرددوها الشعب نفسه كمسلمات.

- أسلوب منطاد الاختبار أو جس نبض الرأي العام: ويكون ذلك غالباً عن طريق الإشاعات وإطلاقها بين الناس في وقت معين، ثم القيام بتحليل الرأي العام بالنسبة لهذه الشائعات، فإذا أثبت التحليل نجاحها ذاعت وتكررت، وإذا أثبت فشلها عدل عنها إلى غيرها وهكذا.

- أسلوب الكذب والاختلاق.

١
- الصورة الكاريكاتيرية: وتستخدم للنفاذ إلى العقل بدون عناء، وهي وسيلة مختصرة ولكن عميقة الدلالة والأثر.

- الأسلوب الاستنكاري: هو أن تطرح الإشاعة بلهجة استنكارية تثير لدى الإنسان تحقراً استنكارياً مقابلاً لمعرفة الحقيقة واستنكارها، ثم يأتي الأسلوب الإثباتي، وهو تثبيت امتداد الأسلوب الأول حيث إن إيجابية رد الفعل في الأسلوب الأول هو تقرير معلومات الإشاعة لحقيقة ثابتة.

- ومن الأساليب الحديثة في تمرير الإشاعة هي محاولة خلق عدو وهمي للأمة، يحاول أن يفترس الأمة في أية لحظة (وهماً)، وهنا يصبح من الميسور إصدار مختلف أنواع الإشاعات بشكل مهوّل وفي أي وقت، لصرف الناس عن القضايا الأهم .

- الأسلوب العلمي: يحاول البعض أن يطرح الدعاية بأسلوب يدّعي أنه علمي ويتفلسف في الكلام في سبيل جلب ثقة المقابل بأنه عالم وفاهم فيقبل منه الإشاعة برحابة صدر.

- أسلوب الاحتواء: وهو محاولة إفهام المقابل أنه على رأيه ومذهبه وبعد أن يطمئن إليه يبدأ المشيع ببت أفكاره شيئاً فشيئاً فلا يجد معارضة من الطرف المقابل في تقبل رأيه لأنه وثق أن المشيع معه في المبدأ والفكرة بينما المشيع يحاول تمرير إشاعته وأفكاره بهذا الأسلوب، ويشير القرآن إلى مثل هؤلاء الناس بقوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) (البقرة: ٨-٩).

ومن وسائل التضليل والترويج للأفكار الهدامة : المغالطات الجدلية :

١- ومن ذلك تعميم أمر خاص وذلك باستغلال أخطاء بعض الناس في تطبيق الأحكام الشرعية واتهام الإسلام بأخطاء بعض أتباعه والأمثلة على ذلك كثيرة .

- ٢- تمجيد أهل الأفكار الضالة والفرق المنحرفة ووصفهم بأنهم يمثلون الفكر الحر وأهل التقدم ، وأهل السنة بأنهم رجعيون .
- ٣- تخويف الناس من بعض أحكام الشريعة وقواعدها بكثرة ما ينسب إليها من تهم وشبهات واستغلال أخطاء البعض لتأكيد تلك القاعدة .
- ٤- تلبيس الحق بالباطل وتزيين الباطل بألفاظ وشعارات تبدو في ظاهرها حسنة مع ما تحمل من سم مدسوس في عسلها مثل ألفاظ : الديمقراطية ، والمساواة ، والحرية، والتنوير ، والإصلاح ، والوطنية ، والقومية .
- ٥- وضع المسلم دائماً في موقف المتهم مما يجعله يبحث عن الردود التبريرية إلى درجة أن يتصل عن دينه أو ينفي حكماً أو شريعة من شرائع الإسلام حتى لا يقف موقف المتهم .
- وعلى سبيل المثال من الناس من ينفي مشروعية تعدد الزوجات في الإسلام أو ينفي مشروعية الجهاد .
- ٦ - إطلاق ألفاظ على غير معانيها لتخويف المنتسبين للإسلام والتمسكين بدينهم منها مثلاً : الرجعية ، التعصب ، الجمود الفكري ، التخلف ، التطرف حتى يبقى المسلم دائماً في موضع الاتهام بل ويتصل عن دينه خوفاً من أن يوصف بتلك الأوصاف .

خداع الشعارات

استغلال ألفاظ عامة :

من أخطر وسائل التجهيل المعاصر تعدد الغموض في المعاني ودلالات الألفاظ المستخدمة في أساليب التعبير وتعمد جعلها مطاطة تحتل معان عدة ومن ذلك:

أولاً: شعار الحرية :

في ظل ظروف الاستبداد الدكتاتوري الذي كان سائداً في أوروبا قبل الثورة الفرنسية انطلق دعاة الحرية بالمناداة بتحقيق الحريات والمطالبة بحقوق الأفراد التي سُلبت في ظل ذلك النظام الإقطاعي ، واندفعت الجماهير مفتونة بشعار الحرية مع استغلال اليهود لهذا التوجه ومحاربة الأديان وتحقيق مصالحهم ، وبعيداً عن هذه الأجواء انتقل هذا المصطلح وهو ذلك الاتجاه المحارب للدين والأخلاق تحت شعار الحرية إلى بلاد المسلمين فكان شعاراً فضفاضاً لا يبرزون منه سوى جانبه المقبول الموافق لما جاء به التشريع الإسلامي ويخفون وراء ذلك أهدافهم في الانفلات من كل الضوابط الدينية والأخلاقية التي تحقق مصالح الفرد والمجتمع فقد أقر الإسلام حرية الاعتقاد فالإنسان حر في اعتناق ما يشاء من مذاهب ولكنه ملاحق بالمسئولية والجزاء عند الله قال تعالى : { وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها { (الكهف ٢٩) .

وقال تعالى : { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } (البقرة ٥٦)

وقال تعالى : { قل الله أعبد مخلصاً له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين } (الزمر ١٤-١٥)

وغير ذلك من الحريات المنظمة بالضوابط الشرعية مثل حرية الفكر والعبادة والمطالبة بالحقوق وغيرها من الحريات ، ولكن أهل التضليل بمغالطاتهم الكثيرة يخلطون بين الحق والباطل في هذا الجانب

ثانياً : شعار المساواة :

أطلق أهل الفساد والتضليل هذا الشعار بإبراز جانب الحق فيه مع تعميم المصطلح في كل حال ومآل تضليلاً للناس وفتنة لهم ، واندفعت الجماهير المضللة مفتونة بشعار المساواة ، وقامت فتن عامة تطالب بتحقيق المساواة وقد اتخذت الثورة الفرنسية شعار الحرية والعدالة والمساواة في ثورتها على الكنيسة وعلى النظام الإقطاعي الاستبدادي ولكن اليهود استغلوا تلك الثورة وهذه الشعارات لتحقيق مصالحهم وأهدافهم في إفساد المجتمعات ونجم عن ذلك خلخلة في نظام الحياة وإفساد للمجتمعات الأوروبية التي نودي فيها بالمطالبة بالمساواة بين العلماء والجهال ، والأقوياء بالضعفاء ، والعاملين بالعاطلين والنساء بالرجال في كل مجال ، وانتقلت تلك العدوى إلى بلاد الإسلام مع طائفة تأثرت بتلك الثقافات الأوروبية أما المفهوم الإسلامي للمساواة فهو صورة من صور العدل الذي أمر الله به فالعدل - وهو إعطاء كل ذي حق حقه - لا المساواة بين المختلفين والمتفاوتين ، وذلك لأن نظام الخلق تحكمه سنة التفاضل لا التساوي ، فالمساواة في كل شيء مطلب مناقض لمبدأ العدل إلا في بعض الأحوال والتي يقضى العدل فيها بالتساوي .

وقد دلت الآيات القرآنية على مبدأ التفاضل في الخلق بين الأشياء وعدم جواز التسوية بين المتفاضلات .

- فالناس يتفاضلون فيما يصيبون من عطاء الله ليبتليهم فيه قال تعالى: { كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً } الإسراء (٢٠-٢١) .

- نهى الله تعالى المؤمنين عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض قال تعالى: {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على

بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً { (النساء ٣٢)

- ويبين الله عز وجل حكمته في جعل الرجال قوامين على النساء قال
تعالى: { الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على
بعض وبما أنفقوا من أموالهم } (النساء ٣٤).

- وبين الله تعالى أنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق قال
تعالى: { والله فضل بعضكم على بعض في الرزق } (النحل ٧١)

وحتى الأنبياء والمرسلين قد فضل الله في منحه وعطاياه بعضهم على
بعض قال تعالى: { ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً
{ (الإسراء ٥٥) .

وقال تعالى: { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات } (البقرة ٢٥٣) .

وفي تكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير ممن خلق الله ، قال تعالى : {
ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً } (الإسراء ٧٠).

فالتفاضل بين خلق الله سنة الله في الخلق ، يشهد به الواقع وتثبته
النصوص الربانية ، فالتسوية بين المتفاضلات ظلم للحق قال تعالى: {
قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور } (الرعد
١٦) .

{ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا
الألباب } (الزمر ٩) .

قال تعالى { قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث
فأتقوا الله يا أولي الألباب لعنكم تفلحون }

وقال تعالى: { وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء
وما أنت بمسمع من في القبور . إن أنت إلا نذير } فاطر (٢٢-٢٣) .

وأما ما أثبتته الله من التساوي بين الخلق، فهم متساوون في عبوديتهم
لله ، والخصمان في مجلس القضاء ، والعدل يقضى بتساوي الناس في
جوانب من الحقوق كحق العمل والكسب والتعلم دون تجاوز الضوابط
الشرعية في ذلك . وفي إنسانيتهم فالإسلام يقوم في الحقوق على مبدأ
العدل لا على مبدأ المساواة .

ثالثاً : شعارا التقدمية والرجعية :

من الكلمات الفضاضة التي ليس لها دلالات منطقية محدودة كلمتا :
التقدمية والرجعية .

أ- التقدمية : أما كلمة التقدمية فقد استغل معنى التقدم إلى الأمام الذي
هو مزية وفضيلة في بعض الأحوال لتطلق إطلاقاً تعميماً باطلاً
وفاسداً موهماً بأن كل تقدم هو خير وحسن ولو إلى الحضيض
والشقاء والهلاك . فيدعو أهل هذه الشعارات إلى التقدم الحضاري
فإذا هو العري والخمر والقمار والفسق والفجور .

ويدعون إلى التقدم العلمي والفكري : فإذا هي دعوات إلى الانحلال من
كل الضوابط الدينية والأخلاقية وتقدم ما يسمونه (المقدس) والدعوة إلى
نشر الإلحاد بالله تعالى : نعم إنه تقدم حقاً ولكن إلى الجحيم وسيكون
مصير أولئك القادة المضللون وأتباعهم مصير فرعون وقومه قال تعالى
: { ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وملئه فاتبعوا
أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد . يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم
النار وبئس الورد المورود } (٩٦-٩٨) هود

فالتقدم من الكلمات العامة التي تدل على التقدم في كل اتجاه ، فليس كل تقدم محمود وأما قيمة التقدم فتكشفها غاية مسيرته فإن كانت الغاية سعادة وخيراً كان التقدم فضيلة وعقلاً وإن كانت الغاية شقاء وشرّاً كان التقدم رذيلة وجهلاً وحماقة ، وإن كان التقدم إلى ما لا فائدة فيه ولا مضرة كان التقدم جهداً ضائعاً يخسر فيه المتقدم عمراً وطاقة ، فيخسر فيها عمره .

ب-الرجعية: ويقابل مصطلح التقدمية الرجعية ، وهي من المصطلحات التي استخدم فيها المضللون معنى أولياً ساذجاً يدل على التأخر الحضاري والعلمي دون تقييد وبيان أن من الفضيلة أحياناً الرجوع فهو بحسب غاية مسيرته كالتقدم سواء . فالرجوع عن الباطل إلى الحق من أكبر الفضائل ، والرجوع إلى صراط الهدى بعد تنكبه والتوبة بعد الخطأ من صفات المؤمنين ، ومن تراجع ليتفادى خطراً مقبلاً عليه فنجا كان تراجع من كمال عقله وغير ذلك من المواطن والحالات التي يكون فيها الرجوع من الأمور المحمودة .

ولكن دعاء الضلال يصورون أن التمسك بالدين وبالثواب الشرعية رجعية – كما يزعمون – وسبباً من أسباب تأخر هذه الأمة عن ركب الحضارة كما يزعمون . ويقع المفتونون بالشعارات المزخرفة في حبال شياطين الضلال والإفساد في الأرض فيتقدمون إلى هلاكهم اغتراراً بشعار التقدمية المزخرف المزين بالباطل ويحذرون من الرجوع إلى الحق والفضيلة والخير والكمال ويتخلون عن دينهم أو الانتساب إليه وإظهار شعائره وسننه خوفاً من الاتصاف بالرجعية فيعيشون في هزيمة وقد تخلوا عن دينهم وطاعة ربهم إرضاءً لدعاة الضلال . إلى غير ذلك من الشعارات المطاطة التي تحمل أكثر من معنى وتكون بحسب الهدف منها مثلها مثل شعارات : الوطنية ، والقومية ، والإنسانية ، وغيرها من الشعارات العامة .

أسباب تقبل الشعوب الإسلامية لوافدات المذاهب الفكرية المعاصرة .

- ١- تخلي كثير من المسلمين عن دينهم تعليماً وتطبيقاً وتحكماً وتشريعاً حكماً ومحكوماً
- ٢- تفشي الجهل بالعلم الشرعي والتأخر في ركب الأبحاث العلمية .
- ٣- تسرب شوائب وشبهات إلى نفوس المسلمين حول دينهم .
- ٤- ما خلفه الاستعمار من آثار هدامة وترويج للفساد وغزو فكري وظهور الأحزاب والاتجاهات العلمانية المعادية للدين من أبناء المسلمين .
- ٥- سقوط الخلافة العثمانية وتمزق شعوب المنطقة .
- ٦- تراكم النكبات أصاب المسلمين بالذهول مما جعل اليأس يدب في نفوسهم .
- ٧- حالة الانبهار بالحضارة الأوروبية وئد الشعور بالدونية والنقص .

المحور الثالث : مذاهب ونظريات منحرفة في علوم مختلفة

تعدد ما يُسمى بالنظريات الغربية الداعية إلى الإلحاد والفساد في عدة مجالات من ميادين العلوم الإنسانية والطبيعية، وقد اخترنا عدداً منها كأمثلة للنظريات الغربية التي كان لها انتشار وتأثير في الفكر الغربي بل وتعدى تأثيرها إلى بلاد المسلمين، وقد تم اختيار نظرية أو مذهب في كل مجال من ميادين العلوم المختلفة، فوقع الاختيار على نظرية "ميكافيلي"

١
في المجال السياسي، ونظرية "فرويد" في المجال النفسي، ونظرية "دور كايم" في مجال علم الاجتماع الديني، ونظرية "دارون التطورية" في مجال الطب وعلم الأحياء.

ويجمع هذه النظريات اتجاه واحد وهو: محاربة الدين والأخلاق والدعوة إلى نشر الفساد والانحلال.

أولاً: ميكافيلي وفكرة الغاية تبرر الوسيلة:

نيقولا ميكافيلي (١٤٦٩-١٥٢٧م) إيطالي، كان من أبرز كتبه كتاب "الأمير" وهو عبارة عن توصيات للقادة والحكام أنكر فيه بصراحة تامة الأخلاق المعترف بصحتها فيما يختص بسلوك الحكام، فالحاكم يهلك إذا كان سلوكه متقيداً بالأخلاق الفاضلة لذلك يجب أن يكون مائلاً لمكر الذنب ضارياً ضراوة الأسد.

واستنتج أن لا يلزم الأمير أن يكون متحلياً بفضائل الأخلاق المتعارف عليها ولكن يجب عليه أن يتظاهر بأنه يتصف بها.

وتعتمد فلسفته على دراسة النجاحات البشرية في وصول الناس إلى غاياتهم ولو كانت هذه النجاحات هي من قبيل نجاحات الأشرار، فالغاية تبرر الوسائل المنافية لفضائل الأخلاق من أجل تحقيق النجاح المطلوب ومن أجل الوصول إلى الغاية المقصودة وهي الظفر بالحكم والاستئثار به، وهذه النظرية أساس النظريات المادية التي ظهرت بعد ذلك ومن أبرزها الماركسية، والتطورية الدارونية، والوضعية والتي تنكر المصدر الإلهي للدين والأخلاق وأن مكارم الأخلاق والقيم الإنسانية التي يقرها علماء الدين في نفوس الناس من عطف وإيثار ومودة مجرد خرافة بل وتعتبر المادية العواطف الإنسانية أمراضاً اجتماعية تسللت إلى عقول الناس عن طريق تضليل رجال الدين كما يزعم "نيتشه" أحد رواد المذهب المادي.

وتدعي النظريات المادية ومنها نظرية "ميكافيلي" أن الناس لن تستقيم حياتهم ولن يحققوا التقدم العلمي والنجاح بالنسبة للولاة والحكام إلا إذا

نزعو هذه العواطف الإنسانية من أنفسهم، وأن هذه القيم مجرد دجل
وخرافات تهدف إلى رعاية الغوغاء. هؤلاء الفقراء والضعفاء الذين
يعوقون التطور الإنساني – كما يزعمون – وأن على الأقوياء تحقيق
 أهدافهم بأي طريقة كانت ولو كان ثمن ذلك القضاء على هؤلاء الضعفاء
 والذين يشكلون وصمة ضعف وعار في المجتمع القوي بأكمله – كما
 يزعمون-.

(لاقيمة في السياسة للاعترافات ولا للمعاهدات. فكل من القوة أو المصلحة
 تعقد المعاهدات، وكل من القوة أو المصلحة تنقضها). ولأحد المؤرخين
 الفرنسيين وهو ألبير سوريل نظرات صائبة في الروح السياسية التي كانت
 تسود أوروبا في القرن الثامن عشر قال: (إن القوة هي التي كانت تسود
 أوروبا بلا مرأى. وهي التي كانت تثبت الحق أو تقضي على الحق). وقال:
 (الزمن والفرصة والانتفاع ومرور الزمن والقوة توجد كل الحقوق بهذا
 كان يفكر في أعماق نفوسهم رجال السياسة القابضون على مقدرات أوروبا
 في أواخر القرن الثامن عشر). وكانت مصالح الدولة في نظر سياسي تلك
 الأيام فوق كل شيء والقوة أداة لضمان هذه المصالح. والمعاهدات
 قصاصات من الورق إذا لم يكن فيها فائدة للدولة وكل دولة تعمل لنفسها.
 وويل للشعوب الضعيفة أو الصغيرة أو التي لا حامي لها فسرعان ما
 تقتضى مصالح الدولة الكبيرة ابتلاعها ويكون الحق في جانب تلك الدولة
 ما دامت قوية. وهذه هي نفسيتها في القرن العشرين. ولم يتبدل فيها شيء
 سوى نقشي التمويه والتضليل والرياء فيما أسموه جمعية الأمم أو هيئة
 الأمم المتحدة بغية التسلط الاستعماري. وستر الأجرام التي يقترفها
 المستعمرون.

ولم يتورع البير سارو عن الاعتراف بالدافع الحقيقي الذي دفع أوروبا إلى
 استعمار الشعوب الضعيفة فقال: (لنصرح بالحقيق. ولنبتعد عن تقليد البلاد
 التي حاولت ستر الفتح الاستعماري بحجة التمدين ولا فائدة من اختلاق
 الأعداء والحيل لطلاء وجه الحقيقة فالاستعمار في البدء ما كان عملاً أريد
 به التمدين، بل كان عملاً مستنداً على القوة أريدت به المنفعة وهو اقتتال
 وتسابق على الحياة. والشعوب التي تفتش عن مستعمرات في أقاصي

الأرض لا تفكر أول ما تفكر إلا نفسها ولا تعمل إلا في سبيل تزييد قوتها ولا تفتح البلاد إلا لتغتم منها وليست فكرة التمدين هي التي تدعوها إلى الاستعمار. وقد يرافق التمدين الاستعمار لكنه لا يكون بتاتاً يبيهاً لفتح بلد ما من البلاد ذلك بأن التمدين كرم ومروءة وإيثار الغير على النفس على حين أن الاستعمار في أصله عمل يفرضه القوي على الضعيف. ولا يبتغى من ورائه إلا الأثرة والنفع الخاص. هذه هي الحقيقة التاريخية التي لا مرأه فيها).

وخليفة مكيافل في انجلترا فيلسوف يدعى هوبس (١٥٨٨-١٦٧٩) وهو صاحب نظرية تنازع البقاء. يرى أن القوة إن لم تكن روح للحق فهي على الأقل مقياس للحق. ونظرية كهذه لا تقيم وزناً لما هو عادل أو غير عادل بل تجعل القوة والحيلة أس الفضائل كما تجعل الحق تابعاً للقوة. ويرى هوبس أن الحكم يجب أن يكون مطلقاً وأن الأمير يجب أن يكون مستبداً وأن يتمثل الشعب في شخصه. والفتح في نظره له مسوغاته. ومن فتحت بلد القوة وجب على المغلوب الخضوع والاعتراف بالفتح رغماً عن أنفه وعندئذ يصبح صك التسلط والفتح مشروعاً.

ومن الذين لهم يد طولى في تثبيت فلسفة القوة الفيلسوف الألماني هيغل (١٧٧٠-١٨٣١) فهو يرى أن القوة صورة الحق وأن انتصار القوة معناه انتصار الحق ويرى أن الدولة تمثل القوة وأن على الدولة استعمال القوة للدفاع عن نفسها أو للتسلط على الغير من دون عدل ولا رأفة.

ومن الذين دانوا بهذا المذهب الفوضوي الألماني المسمى مكس إسترر (١٨٠٦-١٨٥٦) فهو الذي يؤثر قوله: (من حقي أن أفعل ما أستطيع فعله والحق في جانب البير اذا ما انقض على كما أن الحق في جانبي إذا ما صرعته. فإذا ملكت القوة ملكت الحق والعكس بالعكس).

وتقوم الميكافيلية على ثلاثة أسس:

- (١) الاعتقاد بأن الإنسان شرير بطبعه وأن رغبته في الخير مصطنعة، يفتعلها لتحقيق غرض نفعي بحت، وما دامت تلك طبيعته المتأصلة فلا حجر عليه ولا لوم إذا انساق خلفها.

١
(٢) الفصل التام بين السياسة وبين الدين والأخلاق فللسياسة دائرة خاصة مستقلة بمعاييرها وأحكامها وسلوكها عن دائرة الدين والأخلاق، ولا وجود لرابط بينها.

(٣) إن الغاية تبرر الوسيلة وهذه هي القاعدة العملية التي وضعها مكيافيلي بديلاً عن القواعد الدينية والأخلاقية.

نقد النظرية:

١- يُرد على هذه النظرية كما يرد على سائر النظريات المادية التي تنكر ربانية التشريع والدين والأخلاق.

٢- وقد جاء الإسلام بتشريع حقوق الراعي والرعية ووردت النصوص المتكاثرة من الكتاب والسنة التي تحذر من التفريط في حقوق الرعية وإضاعة حقوقهم ووجوب إقامة العدل، والسعي إلى تحقيق مصالحهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. وقال ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

وقال عليه الصلاة والسلام: "... ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة".

وأخبر النبي ﷺ أن من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم "ملك كذاب".

٣- من القواعد المقررة في أصول الفقه أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد وهذا بخلاف قاعدة "مكيافيلي". أن الغاية تبرر الوسيلة.

وفي باب الرد على قاعدة أو نظرية: "الغاية تبرر الوسيلة" عند مكيافيلي فإن الإسلام قد وضع ضوابط للغايات والوسائل فمن ذلك:

(أ) أنه يجب أولاً أن تكون غايات الإنسان في حياته مقيدة بما أذن الله به في شريعته لعباده.

(ب) يجب أن يكون سعي الإنسان إلى غايته المأذون بها شرعاً ضمن الوسائل التي ليس فيها إهدار لحق أو عدل أو فضيلة أو واجب وليس فيها ارتكاب لمحرّم من المحرّمات الشرعية وليس فيها إسراف ولا تبذير.

وغيرها من الضوابط التي تدخل تحت مقاصد الشريعة الإسلامية في درء المفسد وجلب المصالح.

ثانياً: فرويد ومدرسته في علم النفس:

سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م) يهودي نمساوي مؤسس مدرسة التحليل النفسي.

أسس نظريته:

- (١) الإلحاد بالله وإنكار الغيبيات، وإنكار الخالق والدين والأخلاق.
- (٢) الإباحة الجنسية، وأن سلوك الإنسان أساسه الدافع الجنسي.
- (٣) الكبت في مرحلة الطفولة وأثر كبت الغرائز الجنسية في الإصابة بالأمراض والاضطرابات العصبية والتي قد تؤدي إلى نشأة العقد النفسية.
- (٤) اختراع قصة خرافية، وأنها كانت السبب في ظهور الدين والأخلاق والتقاليد. والقصة المختلقة هي:

أن الأولاد في العائلة القديمة شعروا بالرغبة الجنسية نحو أمهم، لكن آباءهم كانوا حائلاً بينهم وبين تحقيق رغبتهم فاجتمعوا عليه وقتلوه، ليستمتعوا بأمهم، وكانت تلك أولى الجرائم التي ترتكب في الإنسانية.

قال: وأحس الأولاد بالندم على قتل أبيهم فقدسوا ذكره وتحول هذا التقديس إلى عبادة ومن ذلك نشأة أولى العبادات التي عرفتها البشرية وهي عبادة الأب.

ثم نزلت نفس كل واحد منهم للاستئثار بالأم، لكنهم وجدوا أنه لن يتم ذلك ما لم يتقاتلوا ولو فعلوا لقتل بعضهم بعضاً، فاتفقوا أن لا يقربها أحد منهم فكان ذلك أول تحريم في العلاقات الجنسية وهو تحريم الأم.

وزعم أن كل الديانات والحضارات التي ظهرت في الناس قد نشأت من ذلك الحدث الخطير، ونشأ الكبت من فكرة التحريم.

فالكبت منذ ذلك التاريخ هو طابع الحياة الإنسانية بسبب وجود الدين والأخلاق والمجتمع وسلطة الأب فيدعو إلى التحلل من تلك القيود.

وأن من يخضع لهذه القيود يصاب بما يُسمى بعقدة أوديب.

(٥) اعتبر أن مبدأ اللذة هو أساس سعادة الناس وشقاؤهم، فنجاحهم من عدمه منوط بمدى إرضاء الشهوة الجنسية.

(٦) تفسير السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً، وأن الجنس هو الدافع وراء كل شيء، والقيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي.

وحاول "فرويد" تطبيق آرائه في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة وتطورها.

من الآثار السلبية:

(١) كثرة الإيماءات الداعية إلى الانحلال والتي أوردتها في كتبه، ومن تلك الكتب: تفسير الأحلام، مدخل إلى التحليل النفسي، ثلاث رسائل في نظرية الجنس، الذات والغرائز، القلق.

(٢) الدعوة إلى ممارسة الجنس قبل الزواج، فالامتناع عن تلك الممارسة قبل الزواج قد يؤدي - كما يزعم - إلى تعطيل الغرائز عند الزواج.

(٣) التحذير من بقاء عذارة البنت بعد بلوغها لأن ذلك دلالة على أنها غير سوية ؛ كما يزعم .

(٤) تبرير عشق المحارم والزنا بهن.

(٥) محاربة الدين.

(٦) إيهام أصحاب الأفعال الشاذة المحرمة أن ما يقومون به عمل طبيعي مشروع لا غبار عليه.

(٧) خدمته للصهيونية في محاربة الدين والأخلاق ونشر الإلحاد وإشاعة الفساد في الأرض.

نقد نظرية التحليل النفسي:

يتم نقد هذه النظرية إجمالاً من خلال النقاط التالية:

أولاً: ذكر الأدلة من الفطرة والعقل والشرع الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى رداً على ما في هذه النظرية من إيماءات إلحادية.

ثانياً: لقد سبقت الأديان الإلهية في الاهتمام بالإنفس البشرية ودراستها وتزكيته، وقد جاءت الآيات القرآنية والسنة النبوية بالدعوة إلى تزكية النفس وإصلاحها قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. [الشمس: ٧-٨].

ودعا الله تعالى إلى توجيه النظر إلى خلق الله تعالى للإنفس الإنسانية ودراستها قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. [الذاريات: ٢١].

ثالثاً: لقد تعرضت نظرية فرويد إلى النقد العلمي من علماء مسلمين وغير مسلمين وتولى علماء الدين والنفس تنفيذ دعاواه في زعمه انحصار دوافع الإنسان بالدافع الجنسي .

رابعاً: جاءت دعوة فرويد إلى الانحلال الأخلاقي والإباحية الجنسية منافية للطرة السليمة وللشرائع الربانية والأوامر الإلهية الداعية إلى العفة وحفظ النسل، والمحدرة من الوقوع في الفواحش والفساد، وشرعت محاربة

الأسباب المفضية للوقوع في هذه الجريمة قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. الإسراء ٣٢

خامساً: ولقد أثبت بطلان هذه النظرية وما تدعو إليه من فساد وانحلال أخلاقي ما وصلت إليه المجتمعات الغربية من فساد وانتشار للجريمة وللأمراض الفتاكة الناتجة عن تلك الدعوات الإباحية.

سادساً: وكان من نتاج دعوة فرويد إلى الرذيلة ما أحدثته من مضار اجتماعية خطيرة في المجتمعات الغربية كاختلاط الأنساب وفقدان الرابطة الأسرية الحقيقية وما جلبته تلك الفوضى الجنسية من اضطرابات نفسية وجرائم أخلاقية.

هذه بعض النقاط الأساسية في نقد نظرية "فرويد" وهناك جوانب أخرى في نقد هذه النظرية لم تذكر خشية الإطالة والإملال.

ثالثاً: تشارلز دارون ومذهب التطور: ١٨٠٨-١٨٨٢م.

بريطاني بدأ دراسة الطب ثم اللاهوت.

من أشهر كتبه: أصل الأنواع – وأصل الإنسان.

أسس نظريته:

(١) المصادفة، (٢) الطبيعة. (٣) الصراع، (٤) التباينات بين الأفراد.

كيف بدأت الحياة عند أهل التطور؟

كما يزعمون أن العناصر البيولوجية المعروفة صادف أن اتحدت وبنفس النسب المطلوبة فأحدثت الشرارة الأولى للحياة.

وأن الطبيعة كانت وراء هذا التطور، وهو ما يسمى بالانتخاب الطبيعي.

وتقوم نظريته على أساس أن الكائنات الحية تسير في تطورها مرتقية من أدنى الأحياء إلى أعلاها وهو الإنسان، وأن بقاء بعض الأنواع وانقراض بعضها يرجع إلى ظاهرة الصراع من أجل البقاء، والبقاء يكون للأفضل.

الانتخاب الطبيعي: أي أن الطبيعة خلف ذلك التطور والارتقاء والخلق، وهذا هو مكنم خطورة هذه النظرية، إذ التدرج في خلق الكائنات من طور إلى طور لا من نوع إلى نوع حادث ولكن من هو مدبر ذلك الخلق ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾. الطور ٣٥

هنا يزعمون أن الطبيعة والمصادفة كانت خلف ذلك الخلق، وهذا مناف للآيات الدالة على أن الله خالق لكل شيء سبحانه، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾. الفرقان ٢

وقد بنى اعتقاده حول هذه النظرية من وجوه تشابه في هيئة بعض الكائنات وخصوصاً الفقرية منها.

الصراع من أجل البقاء: فالحياة والكائنات الحية في صراع دائم والبقاء للأفضل أما من تحمل صفات ضعيفة فإنها تنقرض مباشرة.

وأن الحيوانات منحدر بعضها من بعض فالطيور تطورت من الزواحف عندما فقت إحدى الزواحف بيضة فخرج الجد الأعلى للطيور.

ومن ذلك كما يزعم: أن الإنسان تطور عن خلق القرد.

أنصار النظرية التطورية:

سبق دارون عدد من علماء الأحياء ذهبوا إلى ما يشبه قوله ومنهم "لامارك" الفرنسي والذي زعم أن أنواع الكائنات الحية ليست أصلية في خلقها وتكوينها بل يشتق بعضها من بعض بطريق التحول والارتقاء التدريجي، والدافع وراء ذلك الحاجة والطبيعة والصراع.

فالأفعى – كما يزعم لامارك – لم تكن في بداية خلقها ملساء عديمة اليدين إلا لكثرة تسربها في المسالك والجحور الضيقة، والزرافة طال

١
عنقها لحاجتها إلى ذلك من شدة وكثرة مدها لعنقها تتطاول الأشجار،
وتكيفت أقدام البط لحاجتها في السباحة.

ومن رواد نظرية التطور "هربرت سبنسر" الفرنسي ونظريته التطورية
الاجتماعية.

دلائل مزورة:

حاول عدد من أنصار نظرية التطور تفتيق أدلة لتأكيد مزاعمهم ولكنها
سرعان ما انكشفت تلك المزاعم، ومن ذلك:

- أكذوبة إنسان "يلتداو" أو "بلتداون" وهي تلك الجمجمة الملفقة
من فك قرد وجمجمة إنسان حتى تمثل الحلقة المفقودة في خلق
الإنسان كما يزعمون من ١٩٠٨-١٩٥٣ م بقيت هذه الأكذوبة لم
تكتشف حقيقتها قرابة أربعين سنة.

- سمكة جزيرة مدغشقر والزعم أنها عاشت قبل ٦٠ مليون سنة ثم
انقرضت وذلك قبل أن تكتشف سمكة أخرى مشابهة في المكان
نفسه أبطلت هذا الافتراض.

- رسوم العالم هيجل المزيفة بين خلق الإنسان وبعض الكائنات
الحية.

خطورتها:

١- تعتبر هذه النظرية هي البديل عن معرفة حقيقة الخلق، فهي اعتقاد
الملاحدة في الخلق وليس مجرد نظرية علمية وهي ذريعتهم في إنكار
الإله، واتخاذ الطبيعة هي الإله عندهم.

٢- من النظريات التي مهدت وبررت للاستعمار فالبقاء للأقوى.

٣- امتد زعم التطور إلى كل مناحي الحياة بل حتى الأديان، كما يزعمون
تمر بمراحل تطورية من عبادة الإنسانية إلى تعدد الآلهة إلى التوحيد
والتثليث كذلك.

٤- خدمتها للصهيونية وتبرير مزاعم معاداة السامية والجنس العنصري.

٥- وتظهر خطورة هذه النظرية من جانب آخر من مفهوما لنشأة الدين إذ يزعم أنصارها أن الدين نشأ بصورة بدائية ومر بمراحل عرف فيها التوحيد ثم التثليث وذلك تبعاً لمفهومهم لبدائية وهمجية نشأة الأسرة البشرية الأولى، وقد انتشرت هذه النظرة في مجال العلوم الإنسانية، وعند كثير من المهتمين بدراسة نشأة الدين ومقارنة الأديان؛ ولقد امتد تأثير هذه النظرية إلى عدد من المشتغلين بالعلوم الإنسانية وممن يحسبون على الفكر والأدب الإسلامي من أمثال عباس محمود العقاد في كتابه عن نشأة العقيدة الإلهية إذ جاء في مقدمة كتابه قوله: "ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى". ويقول: "أسفر علم المقابلة بين الأديان عن كثير من الضلالات والأساطير التي آمن بها الإنسان الأول ولا تزال لها بقية شائعة بين القبائل البدائية".

ولقد تجاهل أصحاب هذه النظرية ما أخبر الله به من إرسال الرسل منذ أن خلق الخليقة لدعوة الناس إلى التوحيد قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. النحل ٣٦

وسيتم الرد التفصيلي على هذه المزاعم حول نشأة الدين عند مناقشة نظرية "دور كايم" في نشأة الدين.

نقدها:

أولاً: الآيات والدلائل الحسية والعقلية والفطرية على وجود الخالق وعلى تدبيره للكون وخلق الكائنات الحية.

ثانياً: الأدلة من القرآن الكريم على خلق الإنسان وخلق آدم عليه السلام، والمراحل التي مر بها خلق الإنسان من طور إلى طور لا من نوع إلى نوع كما يزعمون، يخبر الله تعالى عن أصل خلق الإنسان في آيات عدة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦)
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾. [الحجر: ٢٦ - ٢٩].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.
[الإنسان: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن
تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُوا
أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ
عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ
مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾. [الحج: ٥].

ثالثاً: الآيات الدالة على أن الله خلق كل شيء بقدر سبحانه فلا مجال
للصدفة في أساس الخلق كما يزعمون ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾.
الفرقان ٢

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾. القمر ٤٩

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾. السجدة ٧

﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾. النمل ٨٨

رابعاً: النقد العلمي، فقد أثبتت الكشوف والتجارب العلمية بطلان مزاعمهم
فلا زالت أحياء ضعيفة في خلقها منذ أن خلقها الله تعالى تعيش في هذا
الزمن مع وجود الكائنات القوية فلم تنقرض ولم يكن البقاء للأقوى بل لمن
أراد الله له البقاء.

خامساً: عدم ثبوتها علمياً ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان.

سادساً: هذه الفرضية عبارة عن سذاجة عمياء وخرافة بلهاء ويظهر ذلك
في مزاعمهم تحول الكائنات من هيئة إلى أخرى.

سابعاً: إنما هي عبارة عن نزعة مادية مضادة للنزعة الكنسية.

ثامناً: إن وجود صفات مشتركة بين الكائنات لا يدل على أصل نوعها وإنما دلالة على قدرة الخالق وجميل صنعه.

تاسعاً: من حكمة الله أن فضل هذا الإنسان على سائر الخلق وخلقته في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض وسخر له ما في السموات وما في الأرض وميزه بالعقل وحمله الأمانة فهذا ينافي زعمهم في حيوانية أصله.

عاشراً: لقد أخبر الله تعالى أن الخلق وحقيقته مما استأثر الله بعلمه ولم يشاور فيه أحداً من خلقه قال تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾. الكهف ٥١

رابعاً: إميل دور كايم ونظرية العقل الجمعي:

يهودي فرنسي تخصص في علم الاجتماع (١٨٥٨-١٩١٧م) بل ويعتبر
المؤسس الثاني لهذا العلم بعد أستاذه الفرنسي "أوجيست كونت".

من مؤلفاته: تقسيم العمل في المجتمع، وقواعد المنهج الاجتماعي،
الانتحار، والأشكال الأولية للحياة الدينية.

أراد هدم الدين والأخلاق، إذ زعم في فلسفته العقل الجمعي أن العقل
المشترك للجماعة الواحدة هو مصدر الدين والأخلاق والموجه لكل فرد
والمكون لأفكار الأفراد ومذاهبهم، وبناء على ذلك يتم تفسير الظواهر
الاجتماعية تفسيراً مادياً لا يعترف بالله مع إنكار الغيب، وأن الإنسان
يكون أسيراً لأحكام العقل الجمعي مسلوب الإرادة والحرية الفردية.

وأن العقل الجمعي دائم التغيير يُحل اليوم ما كان حرمه بالأمس والعكس
كذلك دون ضابط ولا منطق ولا معقول؛ فلا يمكن بمقتضى سلطان العقل
الجمعي المتغير تصور ثبات شيء من القيم إطلاقاً، فلا الدين ولا الأخلاق
ولا سائر القيم لها ثبات بل هي متغيرات بسلطان العقل الجمعي - كم
يزعم - .

أما دراسته للدين فيرى أن أفضل ما يمثله ما يسميها المجتمعات البدائية
التي أقام عليها دراسته في استراليا، وأن عبادة ما سماه "بالتوتم" أو
النصب بدأت من العقل الجمعي من خلال اجتماع هذه القبائل في احتفالاتها
الدينية والتي يمارس فيها الجماعة طقوسها تحت إيقاعات الطبول ولحن
المزامير والصيحات المنكرة، ويركزون خلال ذلك الحفل الصاخب
السارية التي تمثل العشيرة أو الطوغم وينتهي ذلك الحفل بانتهاك سياج
المحرمات الجنسية، وهكذا - كما يعتقدون - يكون الاجتماع هو مبدأ التدين
وغايته، وتكون الجماعة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر.

تعتبر نظريته امتداداً للمذهب المادي الماركسي المنكر للإله وللوحي من
جانب وامتداداً للنظريات التطورية عند "سبنسر" و"دارون" وأستاذه
"أوجيست كونت".

◻ يزعم أن الدين ظاهرة اجتماعية صدرت عن المجتمع بل المجتمع هو الإله وبناء على هذا التفسير فالدين ظاهرة اجتماعية يطراً عليه التغيير والتأثر بأي عامل من العوامل المؤثرة في المجتمع.

◻ ويدعي أن المجتمع يفرض قهراً اجتماعياً على الأفراد وأن الفرد مسلوب الإرادة بل حيوان خاضع للجبرية الاجتماعية فيلغي بذلك الإرادة الفردية، والحرية الفردية، والمسئولية الفردية.

◻ ينكر ربانية الأخلاق وفطرية الدين والأسرة والزواج ويدعو إلى تحطيم القيود الأخلاقية إذ ليس لها وجود في نفسها وإنما هي من تشكيل المجتمع، ولكل مجتمع إطار من الضوابط الأخلاقية تخصه لا تصلح لغيره نشأة عن المجتمع نفسه.

من الآثار الهدامة لهذه النظرية:

١- الترويج للإلحاد ومحاربة الدين وقداسته.

٢- سلب الإرادة الفردية والمسئولية الفردية مما يؤدي إلى تبرير التصرفات والسلوكيات الفردية الخاطئة وتحرير الأفراد من تبعية أفعالهم.

٣- بدعواه أن المجتمع هو الذي يخلق الأديان والعقائد والقيم فيه حط من قيمتها ومن مكانتها وأهميتها فبذلك يدعو إلى الزعم بأن الإلحاد والانحلال الخلقي أمر حتمي في كل مجتمع وقابل للتغيير من مجتمع إلى آخر.

٤- انتقال الآثار الهدامة لهذه النظرية إلى طائفة من علماء الاجتماع المسلمين في تفسيرهم للظواهر الاجتماعية واعتبار الدين أحد هذه الظواهر الاجتماعية كما يزعمون، لذا تصبح النصوص الإلهية والثوابت الدينية قابلة للنقد والاعتراض.

٥- يظهر التشابه فيما يدعيه أصحاب الفكر العلماني في مجتمعاتنا من الدعوة إلى نقد المقدس وهجر الموروث كما يسمونه، وذلك من خلال استعراض مقولات دور كايم حول الإصلاح الأخلاقي فيقول: "إن علينا أن نصنع أخلاقاً لأنفسنا.. إنه لكي نستطيع إصدار حكم سليم على الأخلاق ونعطيها حقها الواجب من الفهم فعلينا أن ننطلق من معطيات الحاضر...

١
إن الإصلاح الأخلاقي في المجتمع لا يتم إلا بالإلغاء التدريجي لنظام الميراث".

١- ويظهر الأثر الكبير لفكر دور كايم في المجتمعات العربية من خلال ترجمة كتبه على يد علماء الاجتماع المنبهرين بفكرة هذه المدرسة الفرنسية، بل وأصبحت مفاهيم هذه النظرية تدرس في المدارس والجامعات العربية على أنها مسلمات وحقائق لا تقبل النقاش، ومن أراد الاطلاع على أثر هذه المدرسة في العالم العربي فليرجع إلى كتاب: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام، للدكتور: أحمد إبراهيم خضر أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك عبد العزيز سابقاً، والكتاب من إصدار المنتدى الإسلامي، لندن.

٢- والقول بسلب الإرادة الفردية والمسئولية الفردية، زعم يبطله ما جاءت به الشرائع الإلهية من إقرار حرية الإرادة الإنسانية ومسئولية الفرد عن أعماله، ففي باب حرية الإرادة الإنسانية تقرر الآيات تلك الحقيقة قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾. البلد ١٠ وقال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. الإنسان ٣
وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. الكهف ٢٩

وفي نفس المسار يؤكد الله تعالى على تحمل الشخص نتائج عمله، وأنه مسئول عن أفعاله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. الطور ١٦
وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. الزلزلة ٧،٨

ومنهج أهل السنة منهج الوسط والحق في باب أفعال العباد بين المرجئة الذين سلبوا الإنسان حرية الإرادة وبين المعتزلة الذي زعموا أن الإنسان خالق لأفعاله.

نقد نظرية إميل دور كايم في تصويره لنشأة الدين:

خلافاً لمعظم التصورات الوضعية لنشأة الدين سواء كانت نظرية إميل دور كايم أو أوجيست كونت، أو النظرية التطورية أو الطبيعية أو غيرها من النظريات الغربية فإن الإسلام يبدأ بالاعتراف بفطرية الدين في النفس الإنسانية منذ أن أخذ الله الميثاق على الإنسان ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. الأعراف ١٧٢

وإن من عناية الله ورعايته أن لم يترك أمة من الأمم تجتهد في التعرف على معبودها بنفسها كما تزعم النظريات الغربية بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. [فاطر: ٢٤].

وكان من عدل الله تعالى ورحمته أن لا يعذب العباد إذا حادوا عن شرع الله حتى يبعث فيهم رسولاً قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. [الإسراء: ١٥].

ولقد كانت مهمة الأنبياء والمرسلين دعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. النحل ٣٦

وما حدث من عبادة الأصنام أو الطوطم كما عند "دور كايم" أو أي معبودات أخرى من دون الله إنما هو انحراف عن التوحيد وتمرد وعصيان بعد أن بلغتهم الرسل بدعوة الحق، ولم يكن ذلك الانحراف هو الأصل الذي كانت عليه عبادة الناس في قديم الزمان كما تزعم تلك النظريات.

ولقد كانت العناية الإلهية والتكريم الإلهي للإنسان منذ أن خلق آدم عليه السلام لا كما يزعم أرباب تلك النظريات بأن الإنسان لم يصل إلى ديانة التوحيد إلا بعد اجتيازه أطوار الحياة البدائية - كما يدعون - فالعناية الإلهية والتكريم لهذا الإنسان منذ أن خلق آدم عليه السلام واهبطه إلى الأرض قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. البقرة ٣٨

فلم يترك الإنسان سدى كما أخبر الله تعالى بذلك قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾. [القيامة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
(١٠)﴾. [البلد: ٨-١٠].

وقد أخبر الله تعالى أن الأديان من عند الله تعالى وأنها وحي منزل من الله
إلى أنبيائه ومنبعها واحد، وأنها جاءت جميعها بالتوحيد وأن الدين عند الله
الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. آل عمران ١٩.

فهذا هو الدين الحق وهذا هو المصدر الإلهي للدين الذي ينكره الملحدون
من أرباب تلك النظريات الوضعية